رأي القدس

شروط السيد هنية

■ احسن السيد اسماعيل هنية رئيس الوزراء الفلسطيني صنعاً، عندما فرض مجموعة من الشروط قبل تشكيل حكومة وطنية فلسطينية بدأ الرئيس محمود عباس مشاوراته رسمياً بشأنها الاربعاء الماضي، لأن هذه الحكومة بالطريقة التي يتم الترويج لها، يمكن ان تكون البوابة لنسف الكثير من الانجازات التي حققتها المقاومة في الفترة الاخيرة، وهي افشال كل مشاريع التركيع الاسرائيلية، واعادة ملف الاسرى الفلسطينيين الى الواجهة مجدداً.

فمن غير المنطقي الحديث عن حكومة وحدة وطنية، وعشرة وزراء وخمسة وعشرون نائباً منتخباً، علاوة على رئيس المجلس التشريعي، يقبعون خلف القضبان بعد خطفهم من منازلهم من قبل القوات الاسرائيلية.

مطالبة السيد هنية بالافراج عن هؤلاء كشرط للقبول بالحكومة هذه، مطالبة منطقية، والشيء نفسه يقال عن ضرورة ان يكون رئيس الوزراء من حركة «حماس»، لأن أي حكومة لا يتزعمها مسؤول من حركة «حماس» ستفسر على انها تحقيق للاهداف الاسرائيلية مجاناً دون اي مقابل.

فاسرائيل فرضت الحصار على الشعب الفلسطيني، وقتلت اكثر من اربعمئة من اطفاله ونسائه، ودمرت بناه التحتية لاسقاط حكومة حماس، والاتيان بحكومة تقبل بشروطها واملاءاتها، وتقدم التنازلات التي تطالب بها، واي حكومة جديدة لا تشكلها حركة «حماس» هي تجاوب مع كل هذه المطالب الاسرائيلية، واهدار مجاني للتضحيات الفلسطينية هذه.

حركة «حماس» فازت بالانتخابات، بعد ان صدقت الادعاءات الامريكية والاسرائيلية حول الديمقراطية، ثم ووجهت بالعزل والاقصاء والحصار ومؤامرات افشال حكومتها من قبل الامريكيين والاوروبيين وبقايا السلطة الفلسطينية في صيغتها الاولى، وبالتحديد «جماعة اوسلو».

السيد هنية يجب ان يتمسك بشروطه هذه، واذا كان السيد عباس يملك سلطة ونفوذاً وثقلاً حقيقياً لدى اصدقائه الامريكان والمصريين والاردنيين، فإن عليه توظيف هذا الثقل، وهذا النفوذ من اجل الافراج عن رئيس المجلس التشريعي والوزراء والنواب المخطوفين في عملية قرصنة غير مسبوقة.

وإذا تعذر الافراج عن هؤلاء، ورفع الحصار الخانق عن الشعب الفلسطيني، ووقف عمليات الاغتيال للناشطين والابرياء، فإن البديل المنطقي هو الاعلان عن حل هذه السلطة، واعلان الحرب على كل من يريد اقامة سلطة بديلة، لأنها ستكون سلطة اشبه بروابط القرى، بل ربما اكثر سوءاً منها، تعمل على خدمة الاهداف الاسرائيلية.

الرئيس عباس يجب ان يتوقف عن تحركاته هذه واحياء نهج اثبت فشله، واستيعاب الدروس التي نتجت عن الفوز الكبير للمقاومة الاسلامية في جنوب لبنان، ومحاولة الاستفادة منها وتوظيفها في خدمة مصالح الشعب الفلسطيني. عملية السلام التي انجبت هذه السلطة الفلسطينية الهزيلة ماتت ونعاها الامين العام للامم المتحدة، ويبدو ان السيد عباس هو الوحيد الذي يعتقد انها ما زالت حية ترزق.

اي حكومة هذه التي يتم الحديث والتشاور حول تشكيلها والشعب الفلسطيني يواجه الجوع والقهر، والمجازر الاسرائيلية المتواصلة؟ انها محاولات يائسة الهدف منها حرف الانظار عن انجازات المقاومة اللبنانية بدلاً من اظهار كل انواع التضامن معها.

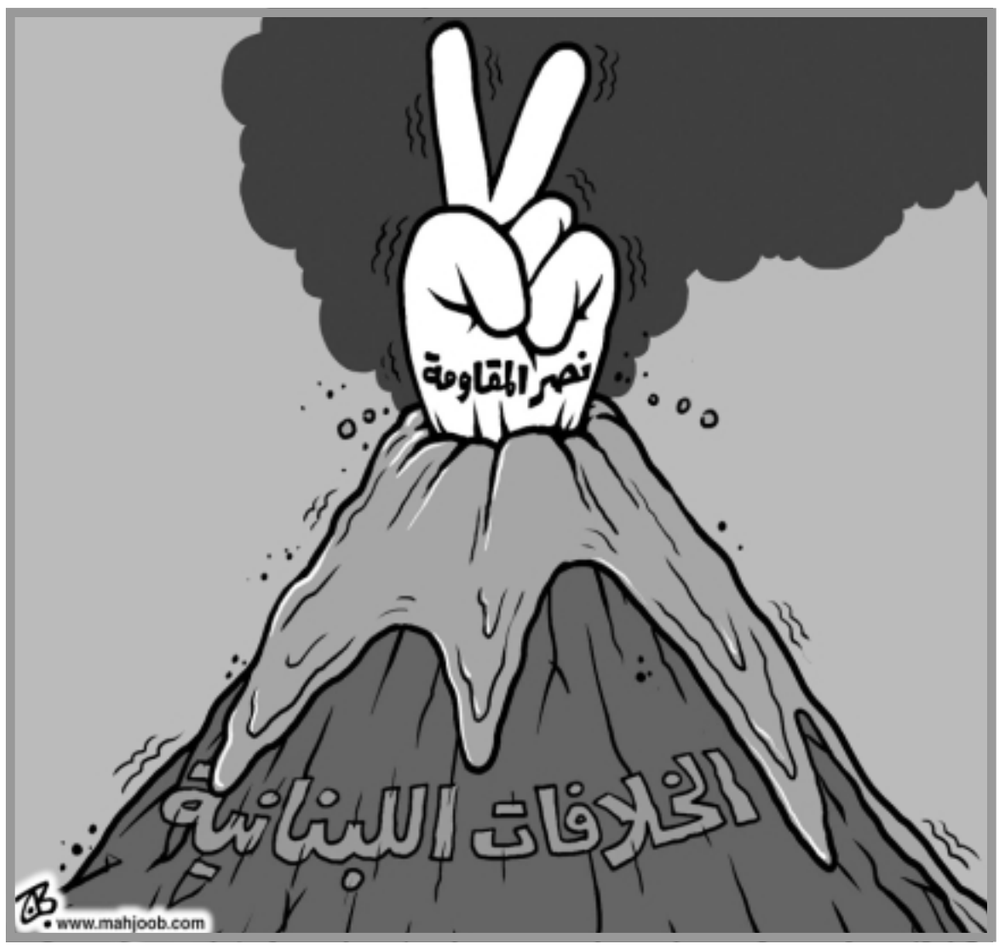

توابع الزلزال الذي أحدثته المقاومة اللبنانية على مصر!

ظروف ابتعاد الجيش المصري عن المهام القتالية المطلوبة داخليا وعربيا

محمد عبدالحكم دياب *

■ يبدو أن تأثير ما جرى في لبنان سيكون له أبلغ الأثر على أوضاع مصر الداخلية، فما نسمع ونقرأ واردا على ألسنة القلة الحاكمة، وأحاديث وكتابات الغالبية الرافضة لها، هو الذي يجعلنا نقول بهذا الرأي.. الكل يقول: ماذا فعلت بنا يا شيخ؟»، والمقصود بالشيخ هنا هو سيد المقاومة حسن نصر الله، زعيم حزب الله، والسؤال لدى القلة الحاكمة مصدره زيادة الشعور بالخطر، والقلق من المصير المجهول، بعد وصولها إلى محطة النهاية، أما الكثرة فقد اكتشفت أن الدور الذي يقبل به الناس يتجاوز مجرد الإعلان عن الموقف والتظاهر والنزول إلى الشوارع، ومواجهة بطش «العائلة الحاكمة» ومواليها، وأن الديمقراطية وحدها، في نطاق الدعوة، لا تكفي، وإذا لم تُعد هذه الديمقراطية الاعتبار للمقاومة، فهي ناقصة وذات جدوى محدودة. ولن تكون إلا من ذلك النوع الذي نراه في أفغانستان والعراق، غطاء للاحتلال الأجنبي، الذي يصبح، بدوره، الوصي الضابط للجرعات الديمقراطية المسموح بها.

ومن اطلع على الصحف الصهيونية، الصادرة في تل أبيب وواشنطن ولندن والقاهرة والرياض وعمان وبيروت، وغيرها من عواصم إسلامية وغربية أخرى، ويتابع أجهزة الإعلام الغربية، عشية صدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، الأسبوع الماضي، سوف يلحظ قصْر كثير من المحللين والمعلقين الشكل والنموذج الديمقراطي المطلوب على النموذجين الأفغاني والعراقي، معلنين أن تصفية حزب الله والمقاومة اللبنانية عمل ديمقراطي يتكفل به أولمرت وبوش وبلير ومواليهم، واعتبر هؤلاء أن الديمقراطية هي التي أتت بحزب الله وحماس، في تناقض مفضوح يكشف عنصرية الخطاب السياسي والإعلامي الصهيو غربي، وهو يضرب بالشرائع الإنسانية والدولية، التي تعطي الحق لمن احتلت أرضه وبلده أن يقاوم المحتل بكل السبل حتى يتحرر ويسترد ملكه المغتصب يضرب بها عرض الحائط.

وليس مقصدنا في هذا المقال هو بيان مدى عنصرية أولمرت وبوش وبلير، إنما القصد هو بيان متغيرات من المتوقع أن تطرأ في مواقف القوى الوطنية والقومية والإسلامية من قضية الديمقراطية فتتخذ مسارا جديدا نتيجة لانتصار المقاومة، حيث عاد هدف التحرير يتصدر المشهد الوطني العربي والإسلامي، وبدا اليقين بأن «المقاومة هي الحل» هو اليقين الأسلم للفطرة والوصول إلى حل للصراعات المماثلة للصراع الصهيو غربي مع الوطن العربي والعالم الإسلامي، فهذا التأييد الشعبي العارم للبنان، والتقدير الكاسح لوعي شعبه العظيم، كان استفتاء على هذا الحل، وليس بالتخلي عنه تحت أي دعوى أو ذريعة، ومعنى هذا تراجع نهج ادعاء الحصول على الحقوق الوطنية أو الديمقراطية أو الإنسانية بالتفاوض أو «التوسل» أو التسول، كما يصرح بذلك مسؤولون عرب، وبهذا تقهقر طلب الإصلاح بالطريق الديمقراطي أمام هذا الحل الناجع، وهذا أعاد القضايا العربية، غير المصرية، إلى قلب المشهد الوطني المصري، وكان ذلك صادما للقوى الانعزالية وللصهاينة، الذين يشغلون أعلى المراكز في هرم السلطة بالقاهرة.

وليت المشكلة تُحصر في هذا النطاق، لقد خرجت عنه بسبب ما لحق القوات المسلحة المصرية من إهانة، من جراء تصريحات متواطئة أظهرتها وكأنها غير قائمة ولا مبرر لوجودها، وجاء وقع هذه الإهانة أكبر مما تصور كثيرون، فمصدرها شخص محسوب على هذه المؤسسة، فحين يصف عمل حزب الله بالمغامرة، وحسن نصر الله بـ«البتاع»، ويضفي على الدولة الصهيونية صفة الأسد، حين علق على ما قامت به المقاومة: «مين يحط إيده في بق الأسد»، واستطراداته التي دارت حول أن مصر لن تحارب من أجل لبنان، وتعليقه على محرقة «قانا» بأنها تصرف غير مسؤول، وكانت الجريمة الكبرى في محاولة توفير الغطاء العربي للعدوان، مع السعودية والأردن. ويأتي تصريح أولمرت مؤكدا لذلك، بوجود دول عربية أيدت العدوان الصهيوني البربري على لبنان.. وكل هذا جاء سحبا من رصيد القوات المسلحة المصرية لدى المواطن العربي، وهذه التصريحات، فضلا عن أنها الترجمة العربية للخطابين السياسي والإعلامي الأمريكي والصهيوني، فإنها مثلت خنجرا في ظهر القوات المسلحة المصرية.. أحاديث وتصريحات تصدر وكأن مصر بلا جيش، وإذا وجد تظهره التصريحات الرسمية بأنه فاقد النخوة ويعدم الإحساس بالخطر، ويجهل اعتبارات الأمن الوطني المصري، الذي لا ينفصم عن الأمن العربي أو الإقليمي.

يرى خبراء استراتيجيون وعسكريون أن تغييب دور القوات المسلحة لم يحدث عفوا، وهو يدخل ضمن خطة عزل مصر وإلغاء دورها وانتزاعه من مجاله الحيوي. وإذا كان المصريون يألمون لهذا التغييب وضياع الدور، فإن الخبراء يرون أنه صناعة الإضعاف المنهج والمنظم، استنادا إلى التجارب التاريخية في التعامل مع الجيش المصري، منذ تحديثه على يد محمد علي، مرورا بأحمد عرابي وعزيز علي (المصري)، وصولا إلى الضباط الأحرار وجمال عبد الناصر. وهذا سبب من أسباب التململ الذي أكدته مصادر موثوقة. مما أعاد إلى أجواء العسكرية المصرية تلك الغيوم الملبدة التي أعقبت نكسة 1967، والتي لم تنقشع إلا بفعل حرب الاستنزاف ونصر 1973 العسكري، وهو النصر الذي حوله السادات إلى هزيمة سياسية، انتهت بتوقيع اتفاقية إذعان عرفت باسم «كامب ديفيد».

ويشهد تاريخ المؤسسة العسكرية المصرية أنها رفضت الهزيمة مرارا، وفي كل مرة كان حضن القوى الوطنية ملاذها، فبعد هزيمة عرابي قاومت، ثم صفيت من قبل المستعمر البريطاني، إلى أن خرجت من تحت رمادها جذوة تنجح في إقامة الحزب الوطني، بقيادة محمد فريد ومصطفى كامل، بعد 25 عاما من الهزيمة العرابية. وعندما ذاقت مرارة النكبة في فلسطين 1948 جاء الرد في 1952، وفي اللحظة التي وجدت فيها أن ميزان القوى العسكرية ليس في صالحها سنة 1956 قاومت بالشعب، وألقت إليه بالسلاح في الشوارع فانتصرت به انتصارا أحدث مدا عربيا وعالميا، صب في صالح التحرر من الاستعمار والاحتلال والاستغلال، وبنفس الروح لم تستسلم لهزيمة 1967.. أصلحت من نفسها وأشعلت حرب الاستنزاف واستعادت اعتبارها في معركة 1973، وإذا كانت فلسطين 1948 أحد أهم حوافز ثورة الضباط الأحرار في يوليو 1952، فمن المتوقع ألا يمر التواطؤ الرسمي المصري وتأييده للعدوان البربري على لبنان هكذا بلا فعل أو رد فعل، خاصة أن الشارع المصري زاده هذا العدوان غليانا، وزاده التواطؤ إصرارا على محو العار الذي لحقه من جرائه.

وعن فتح الملفات المتعلقة بالجيش المصري، تكون البداية بالملف التاريخي، الذي يؤكد أن هذه القوة غير مطلوبة غربيا، وإذا كانت معاهدة 1840 قد نصت على تقليص عدده إلى 18 ألفا، وعليه الانسحاب من بلاد الشام والجزيرة العربية، تأتي اتفاقية «كامب ديفيد» بعد 139 عاما لتنص على إضعافه بطرق مغايرة، تحقق نفس الهدف، فأبعدته أولا عن سيناء، تُركت عارية بلا دفاعات، وحيدته ثانيا، ومنعت خروجه في مهام قتالية إلا ضمن المجهود العسكري والسياسي الأمريكي، وهو مجهود صهيوني كامل. بجانب تقليص عدده بما لا يمثل خطرا على الدولة الصهيونية، وقد ذكر الفريق سعد الدين الشاذلي، قائد العبور، ورئيس الأركان المصري الأسبق، لكاتب هذه السطور، أن القوات العسكرية التي كانت تحت قيادته، على الجبهة المصرية فقط عشية العبور، بلغت مليون ومئتي ألف جندي، منهم مئة وستون ألف ضابط برتبهم المختلفة.. هذا العدد تقلص الآن إلى أقل من الثلث، وأضحى أدنى من قوته السابقة بكثير، ويقدر خبراء هذه القوة بعُشر ما كانت عليه قبل المعاهدة.

وإذا ما تم فصل الحرس الجمهوري عن باقي أفرع القوات المسلحة، بعد تحوله إلى «مليشيا»، مسؤوليتها حماية «العائلة الحاكمة»، أعيد بناؤها على غرار الحرس الحديدي، الذي أنشأه الملك فاروق لحماية عرشه، وهو مكون من لواء مدرع، ولواء مشاة ميكانيكي، وعدة كتائب من المدفعية والمهندسين والدفاع الجوي، ومجهز بأسطول طائرات حوامة (هليوكوبتر) منها طائرات الأباتشي الضخمة، وكتيبة صواريخ، هو باختصار جيش متكامل مجهز على أعلى مستوى من التدريب والتسليح، وعدده يقدر بعشرات الآلاف. وإذا ما تم اقتطاع الجزء الكبير الذي يذهب لحساب الأمن الداخلي ويلحق بوزارة الداخلية، وتكليفه بمهام «قتالية» ضد المعارضة، في شكل قوات أمن مركزي مجندة إجباريا، في الأصل، لحساب القوات المسلحة، ثم يجري إلحاقها بالشرطة، بكل ما في ذلك من تجاوز للدستور والقواعد القانونية والأخلاقية التي تقوم عليها الدولة الحديثة.. وبسحب هذه الأعداد من الحجم الكلي للقوات المسلحة المقلصة أصلا، نستطيع أن نحسب إلى أي مدى ضعفت المؤسسة العسكرية المصرية وأكثر من هذا تركت أسلحة أخرى مهماتها القتالية واستبدلتها بأعمال الزراعة وتسمين الحيوانات وإنتاج اللحوم والبيض والخبز، وبناء قاعات الأفراح والمناسبات داخل الثكنات العسكرية وتأجيرها لمن يدفع، بجانب شركات لبناء مساكن ومبان، تمنح للعسكريين بأسعار مخفضة، وتباع للجمهور بأسعار السوق، وتغلبت بذلك مهام «الاستثمار» والتجارة على الواجبات الدفاعية والقتالية.

وترتب على ذلك تصفية دورية للقيادات والرتب فوق الوسطى، فمن رتبة المقدم فأعلى تخضع لعقود عمل تتجدد سنويا، ولهذا فإن عدد الخارجين من القوات المسلحة صار أكثر من عدد الملتحقين بها، ويبدو أن هذا يتلاءم مع الاتجاه نحو توريث الحكم، وتأتي تصفية الصناعات العسكرية تستكمل حلقات التصفية المحكمة حول القوات المسلحة المصرية، وخضوع القوات المسلحة لنظام تسليح تسمح به الإدارة الأمريكية، بما لا يهدد الدولة الصهيونية أو المصالح الأمريكية في مصر أو المنطقة العربية والعالم الإسلامي، يصب في مخطط الإضعاف. ومثل هذا الجهد يصبح في أمس الحاجة إلى تصريحات تغطي على هذه المؤامرة المحبوكة، وعذرا لضيق المساحة عن بيان مستوى حضور الجيش الوطني في الوجدان الشعبي، وقد يبدو رأينا، في هذا الشأن مخالفا لتحليلات المعادين لوجود جيش وطني قوي، من بين دعاة الليبرالية الجديدة والمستشرقين والمتصهينين، ونأمل أن تواتينا الفرصة لتغطية هذا الجانب في أقرب فرصة.. والمهم أن انتصار المقاومة اللبنانية فتح ملفات كانت مهملة داخل مصر وخارجها، وأهمها ملف الجيوش العربية!!

* كاتب من مصر يقيم في لندن

نهاية «العالم العربي»

بشير زعبيه *

■ قبل ثلاث سنوات استنتج الجنرال موشيه يعلون رئيس أركان جيش الاحتلال الاسرائيلي في تصريح صحافي «انه لم يعد هناك عالم عربي، ولم نعد نتكلم عن عالم عربي، ولا يوجد شيء اسمه تحالف وتضامن عربي، بل هناك لاعبون عرب لكل منهم مصلحته الخاصة».

تذكرت هذا التصريح وأنا أتابع ما يجري في لبنان والمنطقة منذ ثلاثة أسابيع.. لم نر واقعا ناقض استنتاج المسؤول الاسرائيلي بل رأينا ما أكده..

غاب (العالم العربي) في رد الفعل العربي وحضر (اللاعبون) العرب من خلال تصريحات لم تعكس في الواقع مصالحهم الخاصة بقدر ما عكست المصالح الخاصة للآخرين وبرهنت من جديد على تخلف الخطاب الرسمي العربي بما يحمله من تخبط وارتباك ونفاق يشكل في مجموعه واجهة الأزمة التي يعيشها أصحاب هذا الخطاب وهي أزمة ناجمة في تقديري عن حالة التيه أو التوهان السياسي وفقدان الدور وامكانية التنافس الاقليمي على هذا الدور بينما يسعى غيرهم في المنطقة بجدية الى هذا الدور ويملك امكانية التنافس من خلال امتلاك أوراق قوية تؤهلهم كلاعبين كبار في المنطقة على المدى القادم وما يجري الآن في لبنان وفلسطين والعراق لايخرج عن هذا السياق.. وفي تقديري أيضا أنه حتى لو سلمنا بمنطق (اللاعبين) في المنطقة فان هؤلاء العرب الذين ظهروا يصرخون في بداية الأحداث ليسوا لاعبين بل بدوا كأوراق في أيدي لاعبين آخرين ولا يجوز في هذا الجو السياسي المحسوب أن نستعين بالصدفة وحدها في تفسير ورود تصريحاتهم بعد ساعات من تصريح مدير العلاقات العامة لشؤون الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية، البرتو فيرناندیز الذي حمل المضمون ذاته وفي توظيف المسؤولين الاسرائيليين لتلك التصريحات في حملتهم السياسية لتغطية حربهم الحالية.. حتى الجامعة العربية لم يعد فيها مما يجمع العرب سوى مقرها البائس واجتماعات مجالسها الوزارية التي لاتقل عنه بؤسا وأمينها العام الذي ظهر بائسا يائسا هو الآخر في ختام اجتماع المجلس الوزاري للجامعة ينعى عملية السلام حين لم تحضره شجاعة تاريخية لينعى (العالم العربي) وهو يقف شاهدا على وزراء الخارجية العرب يتعاطون مع ما يجري في لبنان وفلسطين وكأنه يحدث في السلفادور أو مدغشقر ومما وضح أكثر من بؤس ويأس الأمين العام تصريحه الذي أعلن فيه أنه سيتم اعادة ملف قضية السلام الى مجلس الأمن وحده دون أن نعرف عن أي ملف بعينه كان يتحدث وأين يوجد هذا الملف الآن ومن الذي سيقرر سحبه وكيف ومن سيعيده الى الأمم المتحدة.. أما البؤس الأكثر احباطا فهو مشهد تلك الجماهير العربية التي تتعامل مع ما يحدث على طريقة أو بعقلية جمهور الكرة تجلس أمام الشاشة تتفرج كما يجلس جمهور الكرة تماما..تصفق أحيانا وتستاء أحيانا أخرى ثم تدير ظهرها عند انتهاء اللعبة وتكتفي بشتم الحكام وجلد الذات فرادى أو جماعات في مشاهد أصبحت من كثر تكررها كنوع من الفولكلور.. ولعل غيري أيضا لم تفته مشاهدة تلك الشريحة من هذه الجماهير وأقصد هؤلاء العرب الذين تعاملوا مع لبنان كملهى أو ماخور يأتونه مدججين بدولاراتهم وسياراتهم الفخمة ليفرزوا عقدهم هناك ثم اذا حلت المحنة جبنوا وهربوا تاركين لبنان وحده يواجه قدره.. أما كان يمكن لهؤلاء أن يبقوا قليلا لتحسيس اللبنانيين بأنهم ليسوا وحدهم..أما كان يمكن أن يتبرعوا بما تبقى من دولاراتهم وبسياراتهم كحد أدنى من التضامن ورد الجميل لهذا اللبنان العظيم حتى في خرابه قبل أن يفروا مذعورين كالفئران..قد يبرر أحد ما للحكام مواقفهم ويقنعنا بأن لهؤلاء تحليلات وحسابات ومعلومات يبنون عليها تلك المواقف فما هي التحليلات والحسابات والمعلومات التي تبني عليها الجماهير العربية موقفها.

لست هنا بصدد الخوض في أسباب ما جرى ويجري ومن الذي تسبب فيه وما هي أجندته ولماذا هذه المفردات الطائفية التي تشوب خطاب المقاومة أحيانا وهل كانت الحرب الاسرائيلية مقررة سلفا في اطار أجندة تغطي المنطقة كلها.. ولست هنا في مجال تقويم صوابية تلك المواقف التي حددها أصحابها على خلفية التخوف من مشروع ما يمتد من (قم) الى جنوب لبنان واذا كان هؤلاء بنوا موقفهم على اعتبار حزب الله طرفا في هذا المشروع لماذا لم يعلنوا ذلك وحزب الله يبني قوته منذ ثلاث وعشرين سنة بل على العكس كانوا يعتبرون الحزب (مقاومة لبنانية) وقد قرروا عبر أكثر من قمة عربية دعم هذه المقاومة فما الذي تغير..لست هنا أيضا في معرض الاجابة عن هذا التساؤل فنحن الآن أمام حرب تدميرية هائلة شملت البشر والحجر ضد بلد عربي بكل طوائفه ومكوناته حرب تطحن أيضا بلدين آخرين هما فلسطين والعراق ونحن أمام شعب عربي يتعرض للعدوان ومقاومة تصد هذا العدوان وصار من باب العبث وتضييع الوقت أن تبحث في مواجهة ذلك عن موقف (عربي) جامع.

لقد انتهى (العالم العربي) أو لم يعد هناك (عالم عربي) كما قال ذلك الاسرائيلي.. هذا هو التحليل الأقرب الى الواقع الآن.. وعلى لبنان وعلى أي بلد عربي أن يستوعب ذلك وهو يخوض حربه ويواجه مصيره.

* كاتب وصحافي ليبي

ترويع وقتل الصحافيين في العراق طمس لمجازر الاحتلال

هيفاء زنكنة *

■ أصبح ما تتناقله وكالات الانباء يوميا عن العراق وما نشاهده على معظم شاشات التلفاز المحلية والفضائية العربية والعالمية واحدا. مثل طلاب مدرسة ابتدائية يرتدون زيا موحدا. تقتصر الاخبار على انفجار مفخخة او لغم أرضي مع تناثر اشلاء الضحايا وبكاء النساء والرجال. ومع الصورة يأتيك التعليق نقلا أما عن الناطق العسكري للاحتلال او احد وكلاء الاحتلال من العراقيين، ليبلغنا بان الانفجار قد تم في منطقة غالبية سكانها هم من (الشيعة) او (السنة) وان العراق اما مقبل على حرب اهلية طائفية او ان الحرب الاهلية الطائفية قد نشبت فعلا. وتبقى التنويعات على ثيمة الحرب على الارهاب واحدة في معظم الاحيان. ويغيب التحقيق الصحافي المستقل الباحث عن الحقيقة.

وهي مسألة بالغة الخطورة على ثلاثة مستويات. المستوى الاول هو عدم ذكر مسؤولية الاحتلال عن المجازر والانتهاكات والنهب وقلة الامان والفوضى. المستوى الثاني هو القاء مسؤولية الجرائم والمجازر، غالبا، بشكل غير مباشر، على الشعب العراقي نفسه لانه شعب همجي يقتل بعضه البعض بوحشية ودموية لامثيل لهما. المستوى الثالث هو طمس عمليات المقاومة الباسلة المستهدفة لقوات الاحتلال وتحميلها مسؤولية العمليات الارهابية المستهدفة للمدنيين من قبل كل من هب ودب في العراق وبالدرجة الاولى قوات الاحتلال نفسها.

ان السبب الاساسي لتكريس الصورة شبه الموحدة عما يجري في العراق هو التضليل الاعلامي امريكيا وبريطانيا. حيث احكمت سلطات الاحتلال التي أشرفت على ولادة ونمو الاعلام في العراق المحتل السيطرة على اجهزة الاعلام باشكال مختلفة. فمن توفير المنح للمطبوعات الموالية للاحتلال وشراء ذمم الصحافيين ونشر المقالات المكتوبة من قبل العسكري الامريكي باسماء عراقية وتدريبهم وتوظيفهم امريكيا الى استخدام اساليب الارهاب الفكري والترويع الشخصي والقتل المنظم. وهو ما فشل الكيان الصهيوني في تحقيقه اثناء اعتدائه على لبنان. حيث تمكن الناس من التجاوب مع المقاومة اللبنانية والاطلاع على تفاصيل جرائم الكيان الصهيوني لحظة بلحظة اما من خلال البث المباشر لقناة الجزيرة والمنار وعدد آخر من الفضائيات الى حد ما فضلا عن وجود الصحافيين المحليين والعالميين الذين لم يتركوا كبيرة او صغيرة تفلت من تقاريرهم او كاميراتهم.

هذه التغطية الصحافية المستقلة غابت عن العراق كليا منذ ما يزيد على العام. وقد وصلت هيمنة الاحتلال على الاعلام درجة قتل كل من يحمل الهاتف النقال فورا وباوامر واضحة لاتقبل النقاش. ليس خوفا من التفجيرات الارهابية كما يدعون بل خوفا من نقل الخبر والصورة مباشرة من موقع الحدث وخاصة من موقع تنفيذ العمليات الانتقامية لقوات الاحتلال في اعقاب نجاح اية عملية للمقاومة الباسلة.

تركز اساليب الارهاب الفكري الشائعة، حاليا، باتهام كل من يكتب او يتحدث عن جرائم الاحتلال وانتهاكاته وسياسة مرتزقته الدافعة نحو نهب العراق وتقسيمه، بانه ارهابي ظلامي تكفيري صدامي. بينما يتمثل اسلوب الترويع باطلاق النيران على الصحافيين اثناء قيامهم بواجبهم او اعتقالهم والتحقيق معهم بتهمة التعاون مع الارهابيين، كما حدث لعدد من صحافيي رويترز الذين تعرضوا للاعتداء الجسدي في ابو غريب، او معاملتهم بطرق مهينة ومزرية من قبل قوات الاحتلال. ويستهدف اسلوب الترويع، احيانا، افراد عائلة الصحافي وخاصة اطفاله فضلا عن ارسال رسائل التهديد بالقتل والخطف والابتزاز.

وقد أدى اسلوب القتل المنهجي ضد الصحافيين العراقيين وغير العراقيين وحوادث الاختطاف غير المبررة الى امتناع الصحافيين العرب والعالميين من الحضور الى العراق لتغطية الاخبار والتحقيق المستقل في طبيعة مايجري من احداث. كما ادت هجرة الصحافيين العراقيين ومنع بعض اجهزة الاعلام العربية كقناة الجزيرة من العمل داخل العراق لما قد تنقله من صورة مغايرة للمطلوب من قبل اعلام الاحتلال الى اقتصار اجهزة الاعلام ووكالات الانباء على نقل الاخبار المبتسرة والمنقولة حصرا عن الناطق العسكري الامريكي ومن دار في فلكه في معظم الاحيان. وليس من مصلحة هؤلاء اخبارنا أية جريمة تقترفها قوات الموساد او أياد خفية أو لثارات عشائرية أو أرهابية أو طائفية لتخفي عشرة أو عشرين عملية مقاومة ضد قوات الأحتلال مباشرة.

ان سياسة اسكات الاصوات المستقلة للكتاب والصحافيين، بأقسى الاساليب، لم تتوقف يوما في العراق المحتل على الرغم من ادعاءات المحتل برعاية حرية التعبير والفكر واحترام حقوق الانسان. فمن اعتقال الكاتب كمال سيد قادر لكتابته مقالتين تفضحان الفساد في الادارة الكردية من قبل قوات الامن الى اعتقال الكاتب والناقد الادبي المعروف قيس كاظم الجنابي في الشهر الماضي بعد مداهمة بيته من قبل القوات الامريكية باسلوب وحشي واقتياده عنوة الى معتقل المطار.

وقد ادان المدير العام لمنظمة اليونسكو كويشيرو ماتسورا منذ ايام العنف المستشري ضد الصحافيين والمهنيين في قطاع الاعلام في العراق اثر اغتيال اربعة صحافيين خلال اسبوع واحد. وهم محمد عباس محمد (28 عاما) المعروف بانتقاده عددا من السياسيين في صحيفة «البينة الجديدة»، قتل بالرصاص في السابع من اب/اغسطس في بغداد. كما قتل في اليوم نفسه وبالطريقة ذاتها الصحافي اسماعيل امين علي، العامل في عدة صحف. وقتل عادل ناجي المنصوري (34 عاما) المراسل في تلفزيون العالم الفضائي بالرصاص في 29 تموز/يوليو في بغداد. وفي اليوم التالي قتل رياض محمد علي المحرر في صحيفة «تلعفر اليوم» بالرصاص في الموصل. وتبقى صورة الصحافية أطوار بهجت ماثلة في اذهاننا بعد ان قتلت بابشع الطرق بداية العام الحالي. فنجح قتلتها في تغييب صوت المرأة كصحافية تبحث عن الحقيقة وتنقلها الى الاخرين. وكان عدد من الكتاب والصحافيين قد اعلن الاضراب عن الكتابة في بداية العام احتجاجا على موقف الحكومة اللامبالي بسلامة وامن المثقف وتوفير الرعاية لحملة الاقلام.

وفي ظل ديمقراطية الطالباني التي يريدها نموذجا للعراق كله، اعتقلت قوات الشرطة في مدينة السليمانية تسعة صحافيين واعتدت على خمسة اخرين في الاسبوع الماضي اثناء قيامهم بتغطية اخبار مظاهرات في مدن دربندخان وكفري وجمجمال التي احتج فيها الاهالي على سوء الخدمات. تم اطلاق سراح سبعة من الصحافيين المعتقلين. فيما لايزال اثنان منهم رهن الاعتقال.

فلا عجب اذن في اجواء الارهاب هذه ان تكون تغطية الاخبار في العراق المحتل ذات صوت واحد هو صوت الاحتلال. وان تغطى بالصمت انتهاكاته ومجازره باستثناء بضع جرائم ما كان سيتم فضحها لولا وجود صحافي عراقي شاب تمكن من تصوير آثار المجزرة كما في مجزرتي الاسحاقي وحديثة. أو صدفة وبعد اشهر كما حدث في جريمة اغتصاب الصبية عبير وقتل عائلتها.

وسرعان ما ندرك، استنادا الى همجية تاريخ الجندي الامريكي وتمتعه بالقتل الوحشي والذبح وحرق المدنيين وقصفهم عشوائيا، بان هذه المجازر القليلة المعلنة لا تشكل غير نزر يسير من أفعال الانتقام الشرسة ضد المدنيين والتفنن بالذبح وتقطيع الرؤوس اثر كل عملية مقاومة ناجحة ضدهم.

وتبقى غاية التضليل الاعلامي الاساسية هي تشويه صورة المقاومة العراقية واتهامها بارتكاب جرائم الارهاب الامريكي ووكلائه. ولنتبين بعض ملامح الصورة الحقيقية للعمليات الدائرة في العراق علينا ان نقرأ ما نشرته صحيفة النيويورك تايمز في 17 آب 2006، عن معلومات إنتزعتها الصحيفة من الجيش حسب قوانين حرية المعلومات.

اذ ارتفعت عمليات زرع العبوات الناسفة وحدها (اي بدون قصف القواعد العسكرية والمنطقة الخضراء، وبدون الهجمات بالرشاشات والرمانات او القنص) من حوالي 45 عبوة في اليوم في كانون الثاني الماضي الى حوالي 85 في اليوم في شهر تموز، وهو شهر الحرب على لبنان، (من 1454 الى 2625 في الشهر). وقد تنامى هذا الأرتفاع في شهر آب الحالي.

وتشير الأرقام الى بقاء من تستهدفه العبوات ثابتا كما هو مسجل في أحصائيات بروكينز إنستيوشن وهي 70 بالمئة ضد القوات الأجنبية. لقد أصبح الأحتلال قادرا على أكتشاف وتعطيل ربع أو ثلث العبوات المزروعة، لكن زيادة عددها يلغي هذا التقدم في تقنياته. لقد بقي أعداد القتلى من الجنود الأمريكيين المعترف بها على معدلاتها السابقة، أو إنخفضت قليلا بسبب تحسين الدروع لكن الزيادة كانت في الجرحى، وهي الخسائر الأهم في نظر البعض. ففي بداية السنة كانت نسبة الجرحى 7 أو 8 لكل قتيل وفي تموز أصبحت النسبة 13 الى 14 (أي 38 قتيلا مقابل 518 جريحا في تموز).

ان هذه الارقام تدل بوضوح تام على ان المقاومة ناجحة في استهدافها العدو المحتل على الرغم من كل التضليل الاعلامي. وانها تستهدف عدوا واحدا لاغير وهو سلطة الاحتلال دفاعا عن حرية العراق ووحدته وكرامة مواطنه. كما ان المواطن العراقي يعرف جيدا بان تفجيرالعبوات والمفخخات في الاسواق والاماكن المزدحمة أفعال همجية يرتكبها الجنود الامريكيون وهم تحت تأثير المخدرات والكحول والمنبهات انتقاما من العراقيين وتشويها للمقاومة الوطنية.

* كاتبة من العراق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أشارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364